صفحة : 182 - 191

P.D.F

باب النقد والأدب واللغة العربية

1- جمالية الإبداع والتحدي في قصيدة كفة الميزان

الدكتورة: رفيقة بن رجب

أستاذة النقد والبلاغة /الجامعة الأهلية/ مملكة البحرين

Dr. Rafeeqa Bin Rajab

Professor of criticism and rhetoric at Al-Ahlia University /bahrayn

reefbinrajab@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/3/25 تاريخ القبول: 2021/4/15

ملخص العربي:

جمالية الابداع والتحدي في قصيدة كفة الميزان للشاعرة نورة البادي.

شاعرة هي مزيج من الابداع والتمرد، ومزيج من الجرأة وصناعة القرار.

كسرت حدة الخجل ونظمت الشعر في الحب والغرام، امتازت بالشموخ والرفعة والاصالة في كل اعمالها الفنية بديناميكية ممنهجة حققت فيها ذاتها وخرجت من خلالها من العباءة النمطية وفتحت المغاليق المحكمة.

وفي قصيدتها تلك كفة الميزان تجاوزت سديم الرؤيا المعتمة والوقوف بكبرياء، وإباء، ولامست اجمل الأحاسيس وتحدت الواقع دون تبريرات وظلت حائرة بين منعطفين، اما ان تستحضر الذات المجهولة والمغيبة بالمسكوت عنه واما ان تستجمع قواها لتقف في سمت واباء دون خنوع او ذل.

فآثرت الوقوف مع بنات جنسها دون اقنعة.

اذن تدخل في هذا النص كل آليات التمازج والمثاقفة والزخم الفني الذي يولد ملحمة جديدة لمشروع خطابي مفتوح له بعد ثقافي مميز يشكل هوية صاحبة النص دون اختزالها ويخضع لجدلية تفاعلية شعارها العلاقة العميقة بين الباث والمتلقي دون خداع او تمويه احتراما لذاكرة المتلقين التي تعزز

خصوصية الانتماء لكي يصبح القصيد رديفا للإبداع الشفاف مع تأكيد الخروج من دائرة الضيق الى فسحة التعبير عن مكنونات النفس دون تعتيم مع الحفاظ على الصور التعبيرية.

كل ذلك صاغته في مضامين شعرية معبرة واستعادتْ حزمة من المفردات والمجازات وكسبت الرهان بتقديم تلك الملحمة القوية ووصلت بالمتلقي الى النقد المفتوح مع الحفاظ على ثوابت الأصالة ولكن في ثوب جديد.

Summery:

The beauty of creativity and challenge in the poem 'the Scale Pan' by the poet

Noora Al-Badi

Noora Al-Badi is a poet, who is a blend of creativity and rebellion, an amalgam of boldness and decision-making, who has been able to abandon intense reservedness to compose love poetry. As such, she is distinguished by loftiness, refinement and originality in all her artistic works, using a systematic dynamic by which she has proved herself and has thus emerged free from the stereotypical mantle, unlocking topic areas typically barred for women.

In her poem, 'The Scale Pan', Noora Al-Badi transcends obscure visions, and stands with pride and selflessness, as she touches upon the tenderest of feelings, challenging reality without offering any justifications. In so doing, she, first, remains at crossroads, hesitant and undecided: either to conjure up an uninformed spirit that has been kept dormant and that is unable to delve into unpermitted matters, or to summon her strength to stand up firmly and defiantly, without having to concede or feel embarrassed. Al-Badi chooses the second: to stand in support of the members of her gender, candidly and openly, and with no masks on.

To this effect, the text of the poem reflects all the mechanisms of interblending, acculturation, and artistic force, which, combined, generate a new epic with an open textual scheme and a distinctive cultural dimension. This dimension forms the identity of the text author, intact and with no reduction. It is a dimension that is determined by a dialectical interaction, based on a deep bond between the sender and the recipient, without any disguise or cover-up. This pays homage to the recipients' collective memory that shapes their sense of belonging. Thus, the poem becomes an expression of transparent creativity, abandoning narrow constraints in order to express unequivocally the inside feelings of the soul, while, simultaneously, preserving vivid imagery. All this is formulated in poetic contexts, that are expressed

with highly effective sets of vocabulary and metaphors. As a result, she has succeeded in presenting a powerful epic that takes the recipient to an open scheme of patterns, while preserving the fundamentals of authenticity, but in a new form.

قصيدة كفة الميزان

أجي مثل القصيد اللي تحدى ظلمة النسيان
أجي مثل الامل ثوبي غموض الوقت واسحابه
يبعثرني حنين الروح همس الدم فالشريان
ويطلق من قيود الظن نجم الشوق واشهابه
كشف سري وغافلني سرق للعالم البرهان
وفي«ن» نابض بصدري عليك مغضي اهدابه
خفوق«ن» لانك بدمه بيبقى غض«ن» وريان
شرا غاف«ن» غفى واخضر.. ظل الظل في غابه
سموات الفرح شوفك وصوتك نشوة الطربان
صلاة الروح واسجود الهوى في جاه محرابه
أنا أهواك بعلنها ترا ما عاد للنكران
دواعي لا.. ولا منطق يبرر واهي اسبابه
هويتك شمس أتبعها بروحي والمدى حيران
لقيتك صرت لي كون ومداري انته ادرى به
وعينك من تعانقني أضيييييييع بلجة الاجفان
واذا مديت لي كفك ولو بي الموت.. أحيا به
أنا أقداري بحبك...قدر موج ويا الشطآن
على مد وجزر يندا ح ..كشف السر وحجابه
أحس اني مثل طفل«ن» واحس إني مثل بركان
تناقض يغمر احساسي كسيل«ن» عاف مثعابه
واحس إني فرح طير«ن» يسبح حمد«ن» وشكران
وله نور الفجر ريش«ن» لعالي النجم يعلابه
وورد«ن» ينفض نعاسه عن شفاه الندى اللانن

سرق م النار جذوتها وعليها نثر اهدابه
وليل اندس بعيوني وضيع حادي الركبان
بصحرا الشهقة الاولى سرى بالعقل واسرى به
يحسدك كل من يعرف بأني الشوك فالاغصان
أنا اللي من العناد البس واطرز اجمل ثيابه
جموح«ن» والرسن آنا قطعته بسالف الازمان
بعيييييييده بعد نجم«ن» ف السما عن عين رقابه
يحيرهم خضوعي لك وانا غروري رفيع الشان
وبلسان الحسد قالوا: تراها بنيه كذابه
تصدق قول عاذلهم وانا في جنة الغفلان؟!
تصب السم بعروقي غضب والجمر مسكابه
تروح وتبعد وتجفي تقول:دروبنا شتان
تقفي بالغرام اللي استراح ونوخ اركابه
تبي تروز الغلا يللي ثقل في كفة الميزان
وغيرك ما يساوي في عيوني.. ذرة ترابه
واقول الله يسهل لك..انا ما كنت لك سجان
حشا ولا كنت لك يوم«ن».. عدو«ن» خافي انيابه
تنقل في بلاد الله وحلق في فضا الرحمن
وصدقهم اذا قالوا: ترا الرجال ما عابه
وتوه بدنيتك فدوه أروح لقلبك الهيمان
وسافر بين زينبهم وماري وصافي وسابه
وحب الغيد وتعشق... تخير لندني وعربان
تنقا وارتشف شهد الزهور وجرب اطيابه
مردك لي..انا روحك..وانا لك ريحة الاوطان
ولو طالت بك الغربه لقلبك.. أخلص اصحابه
وبكره تحن لي وترجع..فلا عاتب ولا عتبان
تراها زوبعه تعدي وانا..ما كنت هيابه
أبد والله ما يرخص حبيبي لا..ولا ينهان

قبل لا يقول لي آسف اقوم آنا اتبدا به
ومنه..بعتذر عنه..فـلا يطلع اهو الغلطان
ولو في حسبته يلخبط انا..بعدل له احسابه
أنا نيل الهوى لي من وردته مرة ظميان
أكيد تعود مشتاق«ن» لشهد«ن» ذاب فارضابه
المحبه امها آنا وابوها وجدها والاخوان
على مر الزمان ابقى خلود الشوق واسبابه
انا عشتار انا جولييت ليليت ولبنى وماريان
فينوس وكايميرا افروديت الحب واحبابه
وطن فكر ووطن روح لحبيبي ف غربة الاحزان
وطن للحب يتحدى ظلام الكون وصعابه
يتوه بأربعين التيه ثم يرجع إلى الاحضان

تحليل (كفة الميزان)

شاعرة متعددة المواهب لها رصيد معرفي وثقافي وادبي وجمالي وابداعي، كاتبة وممثلة وإعلامية فضلا عن كونها شاعرة بالعامية والفصحى، ومع كل هذه المواهب تجيب وبكل تواضع لمن يسألها من أنت؟ انا نوره البادي وحسب.

«هي مزيج من الإبداع والتحدي وتنوع التجارب وتعدد المشارب»، هذا هو رأي والدتها فيها نعم هي كذلك طفولتها رمز للإبداع، عاشت مدللة وقوية الشخصية تحتضن الكتب منذ نعومة اظفارها، كتبت أولى قصائدها وهي في الخامسة عشرة من عمرها وعلى حد قولها: «يومها علمت أن هذا هو طريقي وأنني أخيرا وجدت هويتي ووجدت لروحي وطنا»، وللعلم فإن قصيدتها الأولى تقدمت بها لمسابقة على مستوى السلطنة وفازت بمركز متقدم وجائزتها آنذاك كانت حزمة من الكتب ودواوين الشعر.

شاعرة متمردة في نظر المجتمع في وقتها لأنها تقول الاشعار المخالفة للأعراف التي تعودوها لكنها كسرت حدة الخجل وكتبت في الحب والغرام وألقتها بكل جرأة في امسيات شعرية فاستهجنها بعضهم وحث على مقاطعتها سنوات ولكن الدعم والمؤازرة التي تلقتها من والدتها كانت الحافز الأكبر لها لتجاوز كل هذه المعضلات.

وتقول شاعرتنا عن أمنياتها: «أطمح إلى تقديم الأفضل في مجالي الشعر والفن، وأن أعكس أجمل صورة عن المرأة العمانية بكل اصالتها وشموخها، وأرغب دوما في ان احمل هموم الانثى بمجتمعي وان اكون الصوت الذي يبوح بداخل المرأة العربية للبحث عن التميز».

كلام ذو ابعاد خصبة يفوق التصور العادي ويخوض في البنى الثقافية والأيديولوجية التي تعبر بإصرار عن منظور معرفي يتفاعل مع كل الظروف الاجتماعية والأنساق المعاصرة في النظرة للمرأة بكل إباء وكبرياء وعدم الرضا بالذل او الخنوع، وهذا كله يفضي إلى تحويل اتجاه النقد الأدبي لديها من المسار النقدي المغلق إلى المسار النقدي الرحب المنفتح على الآخر.

فهي ذات ديناميكية ممنهجة تخترق وبثقه تامة مجاهل كل التجارب حيث آلت على نفسها أن تنتقي أفضلها على الإطلاق لتحقيق ذات المرأة المنسجمة في عطاءاتها اللامحدودة إلى الفضاء الواسع دون فقدان الأمل باعتبارها ذات كيان شامخ متسق مع كل الثوابت.

نحن اليوم بصدد قصيدة للشاعرة نورة هزت بها القلوب وقرعت الآذان برغبة جامحة منها للدخول في أعماق المواقف فهي تنتقي مفرداتها بتأن وإبداع في القصيدة الرائدة والرائعة (كفة الميزان). هذه القصيدة التي استجلت بها المخفي وكشفت لنا عن مكنون أفكارها المحاطة بتلك المشاعر المتدفقة بقوه تشهد لها بنمط جديد للدخول في هواجس ربما غير متكررة عند الجميع.

نعم هي صعبة المراس خرجت من عباءة النمطية وانطلقت إلى حيث تريد ويريد منها الشعر دون عوائق، رغبة منها في تقديم المخرجات المحاطة بالزخم الفني والأيديولوجي الهادف ترفدها الثوابت اللوجستية التي فتحت بها المغالق المحكمة بحثا عن الشمولية التي تمثل الوحدات المركزية بذبذبات

عالية المستوى والمحملة بأحاسيس وسياقات وأدبيات تنشط الذاكرة الكتابية في ثوبها الجديد لاستثمار المنعطفات الخطابية بحضور لافت رغم ما مرت به من معاناة وعذابات لكنها دوما تصر على الأفضل وتبحث عن الجوهر الخالي من الفقاعات التي تذهب هباء.

حضورها ومجيئها يحملان ذاك التحدي الذي يقهر ظلمه النسيان بحثا عن ثوب الامل والحياة والعطاء في هذا المقطع الذي تقول فيه:

اجي مثل القصيد اللي

تحدى ظلمة النسيان

اجي مثل الأمل ثوبي

غموض الوقت والسحابة

مطلع مشبع بالتشبيهات الفارهة، فهي كذاك القصيد الذي تحدت به ظلمة النسيان ولكنها استبدلته بالأمل والحياة والعطاء.

وتطل علينا صورة أخرى مطرزة ايضا باستعارة متينة

في عبارة (يبعثرني حنين الروح) ما هذا المجاز المذهل!!

يبعثرني حنين الروح همس الدم في الشريان

ويطلق من قيود الظن نجـم الشـوق واشهابه

هنا نرى جملة من الاستعارات الجديدة المبتكرة في بعثرة حنين الروح/ وفي همس الدم/ وفي قيود الظن/ وفي نجم الشوق/

حقيقة مجازات مؤسسة لمنظومة متكاملة اختزلت فيها كل المآسي بنسق من الصور الشعرية المذهلة والتي تنوعت بين التشبيهات الرائعة والاستعارات المبتكرة لتكسر بها البنية التقليدية.

وتتضح المشاعر الرقيقة والأحاسيس الجميلة في قولها:

كشف سري وغافلني

سرق للعالم البرهان

خفوقن لأنك بدمي

بيبقى غافن وريان

اشكال متلاحقة دون ان تفسد المعنى الجمالي بل على العكس جاءت متلاقحة مع البنية الحوارية لكونها وظيفية اولا ومطبوعة عفوية ثانيا، وليست مقحمة او مصنوعة على الاطلاق ولم تفرض نفسها قسرا.

ترى ما الذي تعنيه شاعرتنا من كل هذه الجماليات المجازية في الصور المتلاحقة؟ ما الذي أضافته إلى جانب جملة من الآليات والتقنيات التي يشار إليها بالبنان؟ ما الذي تعنيه على امتداد المعاني والمضامين؟

الجواب: هي ترنو إلى المكاشفة النقدية بكل منعطفاتها الإبداعية لتستقطب من خلالها مختلف

القضايا المطروحة دون يأس كما كانت في بداياتها فهي تتأرجح بين عالمين مخيفين لا يمكن التغاضي عنهما مهما كلفها الامر.

وتأتي سماوات الفرح بثوبها الفضفاض لكي تتماهى مع مختلف الممارسات التي تحمل ذاك المنجز البلاغي الشامل للنتاج الفكري الممنهج وتحتضن تلك السماوات الشاسعة مشروعا رائعا ما عاد يستبعد ذاك الألق الأنثوي او يتناساه لأنه وهج براق ملتف بثوب أنيق في قولها:

دعوات الفرح شوفك

وصوتك نشوة الطربان

صلاة الروح وسجود

الهوى في جاه محرابه

انا أهواك بعلنها ترى ما عاد للنكران دواعي لا ولا منطق

يبرر واهي أسبابه

هنا نراها تفصح بوضوح في هذا المشهد عن تمردها باقتناع وتحد في سياقات متواشجة مع المواقف السابقة المعلن عنها حينا والمسكوت عنها في غالب الأحيان.

التصوير يستقطب الخطاب المفتوح الذي تجاوزت به شاعرتنا سديم الرؤيا المعتمة الغائبة عن الأنظار في شموخ وإباء لسمو الذات التي تحتويها في نشوة الطربان وسماوات الفرح وسجود الهوى... إلخ. وتكتمل تلك الصورة بـ: أنا اهواك بعلنها ترى ما عاد للنكران دواعي لا ولا منطق.

ما اروع هذه العزة والإباء والوقوف بكل شموخ وكبرياء أمام كل هذه التحديات صورة فانتازيا من الفرضيات الاستفزازية القادرة على كشف مواقف خلقت تواترا خفيا في ثنايا النص فلامس ذروة الإحساس للكشف عن واقع جديد قد يخترق البنية التركيبية الذي كسرت به حاجز الخوف والصمت الرهيب (ما عاد للنكران دواعي ولا منطق) (يبرر واهي اسبابه).

هي ليست بحاجة الى تبريرات تجاه قضية آمنت بها حتى الثمالة ودافعت عنها بثقة تمتح من الرؤيا المتنامية بكل تفاصيلها الدقيقة.

إذن فإن شاعرتنا حائرة بين منعطفين متباينين، بين ضرورة استحضار الذات في أكثر المواقف وبين التعلق بالمسكوت عنه قسرا حتى تغيب تلك الذات في غياهب ذاك المسكوت عنه. ترى أي المنعطفين سوف يبرز على السطح ليخرج لنا بفكر جديد متناغم مع مضامين الرؤى التي تكسر بها جدران الرتابة كما عودتنا ولكن مع الحفاظ على بعض الضوابط المتعلقة بالذائقة الفنية لتحافظ على الأنموذج المؤطر بمنهجية تتوازى مع نمط الأسلوب الجمالي لتربطه بالمجازات التي تنقل المعاني إلى المحاور التأويلية تحديا للنمط المعرفي الدارج وسعيا وراء ترسيخ ثقافة الإبداع لدى المتلقين الذين ينبغي ألا نتغافل عنهم على الإطلاق .

وهذا يتضح في المقطع التالي:

هويتك شمس اتبعها

بروحي والمدى حيران

لفيتك صرت لي كون

ومداري انته أدرى به

وعينك من تعانقني

اضيع بلجة الاجفان

ولو بي الموت أحيا به

واذا مديت لي كفك

الحيره واضحة والحب يخترق القلوب والصور التشبيهية متتابعة وباتت تؤسس لمخزون ثقافي لديها يبرز في ادق اللوحات وفي النقلات النوعية ذات الطابع الحسي متضمنة طاقة حركية عميقة لأنها تعشق أبجدية الجمال عبر منظومة من الأفكار والصور والمفردات والمضامين التي تشكل نسيج الإبداع وتخضع لآلية السمو الذوقي في عبارة هويتك شمس اتبعها بروحي وعبارة لقيتك صرت لي كون وعبارة مداري انت ادرى به وسواها.

صور تلفت نظر المتخصص ويقف أمامها مبهورا بجمالها وتركيبها وإسنادها وكل ما يتعلق بها.

تدخل في هذا النص كل آليات التمازج والمثاقفة والزخم الفني الذي يولد ملحمة جديدة لمشروع خطابي مفتوح له بعد ثقافي مميز يشكل هوية صاحبة النص دون اختزالها ويخضع لجدلية تفاعلية شعارها العلاقة العميقة بين الباث والمتلقي دون خداع أو تمويه احتراما لذاكرة المتلقين التي تعزز خصوصية الانتماء لكي يصبح القصيد رديفا للإبداع الشفاف مع تأكيد الخروج من دائرة الضيق الى فسحة التعبير عن مكنونات النفس دون تعتيم مع الحفاظ على الصور التعبيرية باستخدام بعض الثنائيات التي تجمع بين المتناقضات في قولها:

احس اني مثل طفلن

واحس اني مثل بركان

تناقض يغمر احساسي

كسيل عاف مثقابه

مشاعر مغلفة بمعطيات قيمية تؤطر تصورا نقديا طموحا يعكس عمقا بلاغيا متجسدا في تلك الصور والمقابلات التي تكشف لنا عن نسقية تجسر الأصالة الجرجانية لديها والتي لها وقع خاص على الجهاز الخطابي المؤسساتي للشعر لأنها صور ومحسنات مطبوعة وليست مصنوعة رفعت من شأن الطاقم المجازي العفوي في الجمع بين الطفل والبركان وبين السيل والفرح، والتشبيهات المتلاحقة أيضا قوت من المعنى وأزالت عنه الإبهام كتشبيه نفسها بالطفل حينا وبالبركان حينا آخر وبالسيل حينا وبالفرح الهادي حينا آخر.

فالوضع غير مستقر إذن والفيصل في الموضوع هو الموقف الذي يجس النبض وينبش خطوط الصورة في نسقية البناء والتشييد باللجوء إلى المعادلات المتناقضة لتصبح الصورة أكثر وضوحا والتماعا وتوهجا.

وفي الختام تبرز اللوحة واضحة لدينا في هذه الأبيات:

انا اللي من العناد ألبس

واطرز أجمل ثيابه

جموحن والرسن آنا

قطعته بسالف الأزمان

وأنا غروري رفيع الشان

هنا أرى شاعرتنا تفصح عن مشاعرها دون أقنعة وهي بعيدة جدا عن ذلك ونراها مرة أخرى تعود إلى الماضي المؤلم الذي طالما حاولت ان تمحوه من ذاكرتها لكنه يبرز بصورة اخرى وتحاول بشخصيتها القوية كما عرفناها جيدا بكل شموخها في عالم الشعر أن تبحث عن المعادل الموضوعي لحل مثل هذه الإشكاليات ولكنها للأسف ما زالت عالقة في الأذهان.

شاعرتنا تعزز ضمير الذات وتعطيه قدرا من التماهي بين المضمر والمفصح عنه بين المخزون المعرفي وبين المخزون التراثي الذي لا ترفضه برمته وتشيد دوما بالمرتكزات الفنية والجمالية دون الاندفاع الى قعر المجهول أو الاستسلام للذل والخنوع.

وهناك بالمقابل ديمومة النفس العالية ذات الترف الفكري والتفاعل الإيجابي واستشراف الأمل والمستقبل المشرق الذي لن يتكرر مع تلك المعاناة وان تكرر فهي لن تتخلى عن عنادها كما كانت سابقا وأكثر:

أنا اللي من العناد البس... الخ.

فهذه ليست رموزا بل هي تصريح بموقفها الذي آمنت به تماما، ولعل اختيار تلك المفردات الصارخة يجسد المضامين العميقة، خاصة لفظة الجموح التي هي من صفات الخيل المتمرد، وهذا كله لا شك يرتبط بالسياق الثقافي والتاريخي دون تغييب العناصر الحضورية لأنها في النهاية تسقط وبكل فخر ايديولوجية ما تؤمن به من أفكار وتجارب على النص الماثل أمامنا للوصول بالقارئ الواعي إلى الجماليات الانزياحية لا المتكررة عبر النسق المفتوح الذي يحافظ على ثوابت الأصالة في ثوب جديد يتجلى في قولها:

وكن للحب يتحدى

ظلام الكون وصفا له

يتوه بأربعين التيه ثم

يرفع الى الاحضان

واهللي به إذا يلفي

وأبوس عيون من جابه

هي أيقونة الإبداع الشعري بلا منازع، مليئة بالحيوية والنشاط والصدق والشفافية، قادرة وبتمكن على الاستعانة بحزمة من المفردات الأرستقراطية العالية المستوى بشموخ يشبه ذاتها الأبية التي تحافظ على النواميس الاجتماعية في الحدود المطلوبة.

وفي النهاية، نقول إن شاعرتنا اجتازت سبق الرهان، وقدمت لنا ملحمة مثقلة بأروع المخرجات التي نحن بحاجة إليها اليوم، وفي رأيي نجحت بامتياز.